

6

# قصص الصداقة

الصحابي  
الشجاع

سلوى العناني

دار اللطائف  
للطباعة والنشر

## الصحابي التتجاع

(عبد الله بن رواحة)

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً صرّة ذات فرع تذف الزبد  
عبد الله بن رواحة

هذا يومٌ وقفَ التاريخُ عِنْدَه مناملاً .. فقد كان بدايةً تحوّلٍ  
مؤشِّرٍ (المواقع) ليقفَ عند موقعٍ جليلٍ غيرِ الذي طلما  
وقفَ عنده في شبه الجزيرة العربية .. وكان هذا في عام 621  
ميلادية .. في هذا اليوم جاء اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب  
للقاءِ النبي عليه السلام .. وكان اللقاءُ على مشارفِ مكة في  
مكانٍ يُسمى (العقبة) .

يومها جلسَ النبي مع هؤلاء يُجيبُ على أسئلتهم  
ويبصّرُهُم بحقيقة الدين الذي جاء به .. استمعوا إليه وفد  
تفتحت قلوبُهُم لدعوته فعلاها النور .. فبايعوه ..

على أي شيء بايعوه .. بايعوه على ألا يُشرك أحدُهُم بالله  
شيئاً .. ولا يُسرق ولا يزني ولا يقتلُ أولاده ولا يأتي بهتانٍ  
يفتره من بين يديه ولا يرّجله ولا يعصي الله في معروفٍ .

كان من بين هذا الوفد القادم من يثرب شابٌ رسيمٌ

يبدو عليه ملامح الرّعاة .. أطلّ النظرَ إلى وجه النبيّ وكأنّه  
يتمنى أن يحتفظ بقسماته في ذاكرته وقلبه .. ابتسم ابتسامة  
المؤمن المصلّق الموافق على ما سمع ثمّ توجه بالسؤال إلى  
الرسول فقال :

- يا رسول الله اشترطُ لربّيكَ ولنفسك ما شئت .

فقل عليه السلام : " اشترطُ لربي أن يعبدوه ولا  
تُشركوا به شيئاً واشترطُ لنفسي أن تمنعوني عما تمنعون منه  
أنفسكم " .

قال (عبدُ الله بن رواحة) : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟

قل عليه السلام : الجنة ..

هنا نهلتُ وجوه الوفدِ كله وصاحوا معا : " ربيعُ البيع ..

لا تُقبل ولا نستقبل .. " بعدما نزلَ قولُ الله تعالى :

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْوَالَهُمْ بِأَنْ  
لَهُمُ الْجَنَّةُ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًا  
عَلَيْهِ حَقًّا فِي الشُّرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى  
بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ الَّذِي نَبِئْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ  
هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ} [النسوية : 271] .

هكذا كانت البداية .. بداية الرحلة التودائية التي سار

(عبدُ الله ابن رواحة) على خطواتها في ثقة الفارس وحبلى  
الشاعر وثبات المؤمن ..

كانت بيعةُ العقبة الأولى هذه تضم اثني عشر رجلاً ..  
أما العقبةُ الثانية - في العام التالي - فقد ضمت خمسة  
وسبعين مسلماً منهم امرأتان ..

وهكذا كان بدءُ التفكير في هجرة النبي عليه السلام إلى  
يثربَ وبدأ الإعداد لهذه الهجرة التي حولت مؤشراً (المواقع)  
من مكة إلى المدينة كما قلنا في بداية حديثنا ..

وتجمع المسلمون عند مدخل المدينة يستقبلون نبيهم  
ورسولهم بالفرح والسعادة .. مع أمنية عزيزة كانت ترقى  
في صدر كلٍّ منهم هي أن يحظى بدخول النبي بيته فيكون  
ضيفه ..

ونقدم عبدُ الله بن رواحة وأمسك بزمام (القَصْواء) ناقية  
النبي وقال له : إلبنا يا رسول الله حيث العزُّ والمنعة . إلا أن  
الرسول شكره وقال له كما قل لكل من تقدم إليه طالباً  
هذا الشرف .. قل : (أتركوها فإنها مأسورة) .

وسجد (أمنُ رواحة) برفقة النبي عليه السلام .. بلازمه  
ويسمع منه .. بصلي خلفه ويحفظ ما ينزل عليه من القرآن .

كان (عبد الله بن رواحة) شاعراً مسهوداً له بين  
العربى .. وما إن دخل الإسلام قلبه حتى وظف موهبته هذه  
لخدمة دينه والدفاع عن نبيه .. ومن حيل شعره ..

أى تفرست فبك الحيز أعرفه فراءة خالفهم في الذي نظروا  
ولو سألت أو استصرت بعضهم والله يعلم أن ما خالني البصر  
أنته النبي ومن تخرجتم شفاعته يوم الحساب فقد أوزني به القدر  
فلما سمع منه رسول الله هذا القول .. أقبل بوجهه  
مبتسماً على ابن رواحة وقال : (وايك فثبت الله) .

وتوالى قصائد (عبد الله بن رواحة) خاصة بعد هذه  
الدعوة العظيمة التي دعا النبي له بها إلى أن نزل قول الله  
تعالى : {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} فامتنع عن قول الشعر  
وقال : (وقد علم الله أنني منهم) . واستمرت مقاطعة ابن  
رواحه للشعر حتى بعد أن نزل قوله تعالى : {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ غَدَابَةٍ  
مَّا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}

[الشعراء : 227]

خرج (عبد الله بن رواحة) يوماً مع النبي - عليه السلام -

وأصحابه في سَفَرٍ طَوِيلٍ - وبينما هم في الطريقَ قال له  
النبي: " انزل فحَرِّكْ بنا الركب " أي قُلْ شعرا يَبْهِي النَّاسَ  
ويطرد عنهم كسلهم فيستحثون بدورهم الدواب لتسرع  
في سيرها .

فأجابهُ (ابن رَواحَةَ) : يا رسول الله .. إني قد تركت قولِي  
هذا- أي تركت قول الشعر .. فغضب (عمرُ بن الخطَّابِ)  
وصاح فيه : اسمع وأطع .

وفاضت فرجةُ (ابن رَواحَةَ) طاعةً لرسول الله ..

يا ربُّ لولا أَنْتَ ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينةً علينا وَكَيْتَ الْأَفْئِدَامُ إِن لَّا قِيَا  
إِن الْكُفَّارَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِن أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنا

فلما استمع النبي لِإِنْشَاءِ دَعَا لَهُ قَائِلًا : " اللهم ارحمه " ..

وهكذا وَجَبَتْ الرَّحْمَةُ الْمَطْلُوقَةُ .. أَوْ قُل (الجنة) لهذا

الفارس الشاعر النبيل ..

تروى الكتبُ التي تُؤرِّخُ لصدر الإسلام هذه الروايةَ عن  
(ابن رَواحَةَ) ، فقد صاحب (عبد الله بن رَواحَةَ) النبي في  
عمره القُصَاةَ وكان بِمِثْمِثِكُ يَزِمَامُ (القُصَوَاءُ) ناقةُ النبي  
الذي كان يسيِّرُ خلفه المسلمون مهتللين مكبرين فرحين

بزيارة بيت الله الحرام - وانفعل ابن رواحة بسقوط  
وفاضت شاعريته فانطلق يقول :

7 غفلوا بني التكفار عن سبله حلوا فكُل الخير مع رسوله

لحم ضرباكم على نأويله كما ضرباكم على تنزيله

ضربا يزل الهام عن عقيله ويذهل الحبل عن حليله

وانثرت هذه الأبيات مشاعر بعض المسلمين وتحركت في  
داخلهم نوازع الحسب .. لكن هذا يخالف بنود (صلح  
الحديبية) .. وتنبه (عمر بن الخطاب) فنبه (ابن رواحة) إلى  
هذا - وسمع النبي ما يدور من حوله فلقه بالحديث إلى (ابن  
رواحه) قائلا: "إيه يا ابن رواحة .. قل : لا إله إلا الله وحده ،  
صلى وعنه ، ونصر عيسى ، وأعرض جنته ، وهزم الأحزاب  
وحده" .

وانطلقت حنجرة (ابن رواحة) رافعة ما قاله الرسول ..  
فنبهه باقي المسلمين .. وأصبح هذا النداء هو نداء المسلمين  
يردونه قبل صلاة العيدين تأسياً بهم ولهم ونبههم ورسوهم  
عليه الصلاة والسلام .

وكما كان (عبد الله بن رواحة) شاعراً تتنقل الصحاري  
والوديان أبيات شعره .. فقد كان فارساً مقاتلاً تشهد له

ساعات القتلى بالقوة والشجاعة والذكاء العسكري .. وكان من القلائد في مجتمعه الذين أسكروا القلم ليكنيسوا فوق الصفحات .. لكن التاريخ سجل مفاخر ما قدمت منه من الدفاع عن الإسلام ونبيه في مواقع بدر وأحُد والحندق ومؤتة. وكان فوق هذا وذاك رجلا حكيما ذكي الحوار قوي الحجة ..

خرج رسول الله يوما لزيارة أحد صحابته - وكان مريضا - ومعه (أسامة بن زيد) و(عبد الله بن رواحة) وعبد آخر من الصحابة .. وفي طريقهم شاعروا (عبد الله بن أبي) - زعيم المنافقين - يجلس مع بعض رفاقه .. ولأن النبي كان غوفا للذوق الرفيع والحل الحسَن فقد نزل عن راحلته وراح يسلم على هؤلاء الذين يفترض أنهم مسلمون وكعلائه رتل النبي بعض القرآن ودعا إلى الله أملا في حُسْن الثواب ، وما إن انتهى الرسول من حديثه حتى قل له (ابن أبي) :

- يا هذا - إنه لأحسن من حديثك هذا - إن كان حقا - أن تخلص في بيتك ففس جلدك فحدثه إياه .. ومن لم يأتك فلا تعذبه به ولا تات به في مجلسه بما يكره .



وكان رفقاً النبي وصحابته هذه الصفاة التي تحدث بها  
(ابن أبي) وشهروا أسلحتهم يتقدمهم (عبد الله بن  
أحمد) الذي صاح قائلاً:

- يا رسول الله .. إن الذي قلت هو الحق الذي لا يأتيه  
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم حبيب ،  
وإنه والله لأحب شيء إلى نفوسنا وقلوبنا ، فأغشنا به ،  
والثنا به في مجالسنا وديواننا وبيوتنا فهو - والله - ما نحسب  
وما أكرمنا الله به وهذاننا بكه

فمضى (عبد الله بن أبي) صامتا خائفا .. وما نظنه  
خجلا .. فلما تفقون لا يعرفون الخجل ..

ولتكن لنا هنا وقفة عند محطة هامة في حياة الصحابي  
الجليل (عبد الله بن رواحة) .. وهي غزوة مؤتة .. هذه  
الغزوة التي شهدت استشهاد ..

بدأ التفكير في هذه الغزوة مع بداية العام الثامن  
للهجرة (629) ميلادية .. بعد أن أبقن الرسول وصحبه  
ضرورة تأمين الحدود الشمالية للجزيرة العربية بعد أن تم  
تأمين الجنوب بولاء حاكم اليمن وإبراهيم الفاضل مع  
قرش .. وبعد أن ضمن انتشار الإسلام في أغلب أرجاء

الجزيرة .. أصبح لزاماً فتح باب هذا الانتشار خارج  
الجزيرة .. وكانت الشأمة هي نقطة البداية الاستراتيجية لهذا.  
دعا الرسول عليه السلام إليه ثلاثة آلاف مقاتل من  
المسلمين بقيادة (زَيْد بن حارثة) وقال لهم :

- إن أُصِيبَ (زَيْدُ) (فجعفَرُ بن أبي طالب) على  
الناسِ .. وإن أُصِيبَ (جعفَرُ) (فعبد الله بن رواحة) على  
الناسِ .. واتجه ابن رواحة لرسول الله يودّعه ويستزود منه  
بالتصانيع فل:

- يا رسول الله مرّني بشيء أحفظه عنك .

فل عليه الصلاة والسلام : إنك فادماً غداً بلدًا السجودُ  
فيه قليلٌ.. فأكثِر السجودَ .

قل عبد الله : زدني يا رسول الله .

فل : اذكر الله فإنه عونٌ لك على ما نطلب .

فقال ابن رواحة إلى سيده .. إلا أنه ما ليست أن عبد الله  
رسول الله ليقول لعدو رسول الله .. إن الله وعر (\*) يجب  
الوثر .

وكانني (عبد الله بن رواحة) يريد أن يستزيد من جليش

الوثر هو الوثر العردي لا الروحي .

رسول الله لأن قلبه بجذره بأنها ربما كانت المرة الأخيرة التي يلتقيان فيها .. -

أجابه رسول الله : " يا بن راحة ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشرا - أن تحسن واحدة " .

ثملى (عبد الله) وجه النبي طويلا - وقال وعلى وجهه طيف ابتسامة :

- لا أسالك عن شيء بعدها . ثم راح ينشد ..

فقلت الله ما أتاك من حسن تليت موسى ونصرا كالكذي نصروا  
إن تفرست إليك الحيز أعرفه فراسة حائقهم في الذي نظموا  
أت الرسل فمن تحزم توأله والوجه منه فقد أزرى به القدر  
ومضى (عبد الله بن راحة) .. لينضمم إلى ركب  
المجاهدين المتجهين إلى حدود الشام وكان من بين فرسان  
هذه الحملة خالد بن الوليد .. الذي كان حديث عهد  
بالإسلام فلما أن ثبتت ولاءه بانضمامه إلى هذا الجيش .

وقف المسلمون بدعوى فرسانهم المجاهدين ويدعون لهم : (صاحبكم الله وقفع عنكم وودكم إلينا سطين) -

أما النبي - عليه السلام - فقد سار مع جنوده حتى حدود

المدينة المنورة ووقف يعظهم ويقول : ( لا تقتلوا النساء ولا  
الاطفال ولا الكفوفين ولا الصبيان ولا تهدموا المنازل ولا  
تقطعوا الأشجار ) .

ومضت الحملة في سبيلها وقد ظن قلائها أنهم سيباغتون  
الروم في الشام فيحصلون على نصر سريع وغنيمة .

لكنهم ما إن اقتربوا حتى تبين لهم أن (شُرَحْبِيل) عامل  
(هرقل) على الشام قد علم بقُدومهم .. فجمع حوله  
القبائل .. كما طلب المدد من (هرقل) .. فأرسل إليه جيشا  
من الروم والعرب .

واقترَب جيش المسلمين من أرض الشام .. وأرسلوا  
عيونهم تراقب الموقف .. وعلموا أن جيشا قوامه مائة ألف  
أو يزيد قد اجتمع للقائهم . واجتمع قلة المسلمين ينظرون  
مذا هم فاعلموا .. اقترح البعض أن يرسلوا للنبي بعند  
عدوهم .. فهو إما يرسل لهم المدد اللازم - أو يدعوهم  
للعودة .. أو يامرهم بالقتل .

هنا قام (عبد الله بن رواحة) وقد اجتمعت في داخله كل  
معاني الإيمان والصدق والفروسية وحب الشهادة .. فقل  
لهم :

يا قوم : والله إن الذي تكرمون للذي خرجنكم تطلبون -  
يقصد الشهادة - وما نقاتل الناس بعدو ولا قوة ولا كثرة ،  
نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ،  
فإنما هي إحدى الحسين ، إما ظهور وإما شهادة ..

وسرى تبار الإيمان والبسالة في جموع المسلمين .. وصلحوا  
في صوت واحد .. فوالله صلى (ابن رواحة) ..

وعند قرية (مؤتة) التقى الجيشان .. جيش الروم بعدده  
وعدته .. وجيش المسلمين بإيمانه واستماته ..

وكان قتالا شرساً بين قوتين غير متكافئتين في العدد ..  
قاتل (زيد بن حارثة) (حبيب رسول الله) وحامل راية  
الإسلام قتالا مستميتاً .. حتى استشهد ..

وتسلم منه الراية (جعفر بن أبي طالب) (ابن عم  
الرسول) فقاتل بشراسة حتى استشهد ..

وأسرع (عبد الله بن رواحة) فتحمل الراية ثم مضى  
يصرخ أعداءه وكأنه جنش بأكماله .. لكن .. هل تغلب  
الشجاعة الكثرة .. كثرة العدد وكثرة السلاح والعدة ؟؟

ولحق (ابن رواحة) بزميله .. لحق الأنصاري الحُمام  
بالمهاجرين اليواصل .. ليلتقي ثلاثتهم في جنة الخلد ..

محمولين على سررٍ من ذهب.

هكذا هو .. (عبد الله بن رواحة) مجاهدٌ في سبيل الله .  
مُحبًا لدينه ولرسوله منذ اللحظة التي باع فيها على نصرته  
الإسلام في العقبة الأولى .. فأعطى هذه العقيدة التي آمن  
بها كل ما يملك وما هو يعطيها أغلى وآخر ما يملك ؟ ..  
روحه الطاهرة ..

سلام عليك يا ابن رواحة مع الشهداء والصديقين  
والأبرار.. لكن كيف انتهت هذه الموقعة - موقعة مؤنة -  
بعد موت أمرائها الثلاثة واحداً بعد الآخر ؟

بعد موت (ابن رواحة) ثالث هؤلاء الأسراء فرر  
المجاهدون المسلمون اختيَارَ (خالد بن الوليد) قائداً وأسيرا  
عليهم .. وكان خالدٌ كما هو معروف عنه واحداً من  
أصحاب العبقرية العسكرية الفذة .

نظر خالدٌ بن الوليد في الأمر .. ووجد أن عدداً كبيراً من  
مقاتلي المسلمين قد استشهدوا .. صحيح أنهم أبلسوا بلاء  
حسناً وكبّدوا العدو خسائرَ كبيرةً .. لكن قوة هذا العدو  
ما زالت قائمة على الصمود ..

ولم يجد خالد أمله إلا الخيلة .. فقد أمر قوة جيشه

توزع في الخلق في خط عرضي على أن تتحرك الجبال  
والإبل لتصنع عاصفة رملية عالية .. تحدث جلبة ..

لما رأيت جنود الروم هذا ظنوا أن مدًا جديدًا قد وصل  
إلى المسلمين .. وخافوا من العودة إلى مواجهتهم فولوا  
على رءس ..

وكانت فرصة لجيش المسلمين كي يعود بعد هذا البلاء  
الحسن .. صحيح أن هذه الغزوة لم تحقق نصراً للمسلمين ..  
لكنها في ذات الوقت لم تحقق نصراً لأعدائهم ..

وكانت (مؤتة) هي البداية .. وكان بعدها النصر في  
(ذات السلاسل) ثم (تبوك) التي فتحت للإسلام شمل  
الدنيا وغربها وشرقها ..